المجلة الدولية (IJS)

International Journal of Research and Studies

المجلة الدولية للبحوث و الدراسات

مجلة علمية دورية محكمة

تصدرها أكاديمية
رواد التميز للتدريب
والاستشارات والتنمية البشرية

المجلد: (الأول).

العدد: الرابع (أكتوبر 2019).

إعجاز القرآن في الحديث عن لغة الطير والحيوان

إعداد: الدكتور/ محمد محمد صالح عوض.

رئيس القسم الديني بصحيفة الوعي العربي (سابقًا).

لئن كانت الأرض مهيئةً لعيش الإنسان؛ فقد جعلها الله أيضاً مهيئةً لعيش الحيوانات المختلفة، ولما كانت النفس الإنسانية بحاجةٍ دائماً الى تنبيهها على عظمة الخلق والخالق، فإن القرآن الكريم بيّن لها أن ثمة كائنات أخرى أبدعها الخالق سبحانه وتعالى، منها ما تراه وتعرفه، ومنها ما جهلته وغاب عن بصرها، ومنها ما سخره الله لها، ومنها ما سخره لحكمة قد تكتشفها وقد تقصر عن ادراكها (1).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: 45].

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم التى تكلمت عن الحيوان ومنافعه وأضراره لوجدنا أنفسنا فى حاجة الى عشرات البحوث والمقالات؛ فالأنعام (ابل وأبقار وأغنام) والخيل والبغال والحمير والطيور،الخ كلها أمثلة لحيوانات تكلمت عنها آيات القرآن الكريم (2).

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام : 38] .

لقد وصف الله الجماعات من الحيوانات والطيور والحشرات بأنها أمم لها نظامها وعاداتها، وبأنها تشبهنا فى أن لها عقلاً يدبر أمرها، فكما أن الناس يمسكهم نظام، ويضبط حياتهم سلوك، وتربط بينهم عادات، وتحكمهم قوانين، فكذلك كل جنس من أجناس الحيوا، وكل نوع من أنواعه له عالمه الذى يعيش فيه، ولغته التى يتفاهم بها، وله نظامه الذى يأخذ به

الخارجين على نظام الجماعة المتمردين على أوضاعها المستقرة.

إن هذه الحقيقة لم يعترف بها علماء الحيوان إلا حديثاً، ولقد اكتشف العلماء أن جماعة الحيوان والطير يربط آحادها رباط اجتماعي وثيق، وأن منها ما تعيش فى صورة ممالك ذات نظم ثابتة كالقردة وغيرها، وأن لكل جماعة لغة يتفاهم بها أفرادها (3).

وقد اتضح أن بعض الخواص التى كنا نتخيلها مقصورة على الجنس البشرى كالميل لتكوين المجتمعات، والرغبة فى التملك وحب السيطرة، والحنين إلى الوطن إنما هى سجايا أساسية لكل الأحياء.

ولقد قلبت هذه الاكتشافات كثيراً من الآراء الراسخة، بحيث تُشكل انقلاباً فى العلوم الطبيعية كما قال العالم: (روبرت أردرى)، فى كتابه (تكوين الأفريقيين) (4).

فلقد كشف عالم ألماني بعد ملاحظات دقيقة لم يتنبه اليها العلماء وهى: أن الطيور لا تصدح فقط، ولكنها تتكلم أيضاً، ولها مثل البشر لهجات خاصة، إن هذه الحقائق التى توصل إليها العلماء فى الوقت الحاضر قد سبق إليها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، حيث أثبت القرآن الكريم أن هناك خاصية لبعض الناس اصطفاهم الله لرسالته وأكرمهم بوحيه، وأعطاهم قدرة على معرفة لغات الحيوانات والطيور، وألهمهم ما يعرفون من منطق ولغة الطير: قال تعالي: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

ففي هذه الآية ما يؤكد أن داود وسليمان عليهما السلام كانت لهما القدرة على معرفة منطق الطير.

ولقد كشف العلماء النقاب مؤخراً عن رصدهم لغة مشتركة بين طيور برية في موزمبيق، وشعب(الياو) المحلي، وذلك في سعي الطرفين للبحث عن العسل.

حيث توصل علماء من المملكة المتحدة وجنوب أفريقيا إلى اكتشاف العلاقة المتبادلة القائمة منذ مئات السنين، والتي تشمل الصفير والتغريد، وذلك في سعي الطرفين إلى الحصول على

عسل النحل من الغابات، ربما يقول البعض إن التواصل مع الحيوانات الأليفة ليس جديدًا، هذا صحيح. بيد أنها المرة الأولى التي يثبت فيها حدوث تواصل بين البشر، وطيور برية.

المذهل في الأمر، كما يقول التقرير، إن الطيور تفعل ذلك طواعيةً، ودون أي تدريب، والمذهل أيضاً هو أن العلاقة بين الطرفين تطورت بشكل طبيعي وعلى مدى مئات أو آلاف السنين، كما صرحت (كلير سبوتسوود)، كبيرة الباحثين، والمتخصصة في مجال سلوك الطيور في جامعتي (كامبريدج) و(كيب تاون)، حيث تستوطن طيور مرشدات العسل منطقة جنوب الصحراء الأفريقية، وقد وُثق تعاون عدة مجتمعات محلية هناك معها؛ بحثًا عن خلايا النحل المختفية في الأشجار، حيث تحب تلك الطيور تناول شمع أقراص العسل الموجود داخل خلايا النحل، لكنها تخشى أن تلدغ من النحل إذا ما فتحتها، لذا فهي تستعين بالإنسان الذي يبعد النحل بالدخان ويقوم بفتح الخلية، فيأخذ العسل ويترك الشمع وراءه حتى تتغذى عليه تلك الطيور.

يقول التقرير أيضاً: إن العلاقة تسير في الاتجاهين، فأحيانًا يتجسس مرشد العسل لصالح الإنسان، ثم يرسل له عبر تغريدة متفق عليها، وأحيانًا يسعى الإنسان بحثًا عن مرشد عسل في الجوار باستخدام صوت فريد لجذب الطائر.

إلا أن الغرض من الدراسة هو معرفة إذا ما كان التعاون بين الإنسان، والطيور متعمدًا أم لا، وهل كانت تغريدات الطيور لها أي تأثير، ومن أجل ذلك، تعاونت (كلير) مع أشخاص محليين طلبت منهم الخروج للبحث عن العسل، ولكن باستخدام أصوات مختلفة: نداء (brr–hm) (صوت الطيور)، وكلمة عشوائية من لغتهم المحلية، وصوت لا يميزه الطير، رُدِد أحد تلك الأصوات لسبع ثوانٍ بالقرب من مرشدات العسل، فكانت النتائج مذهلة، (زاد استخدام نداء الطير من احتمالية التعاون إلى 66%، وزادت احتمالية العثور على خلية نحل إلى 54%)، كما تقول (سبوتسوود).

وقد استنتج الفريق البحثي أن هذا تواصل متعمد بين الإنسان، ومرشدات العسل، حيث تظهر النتائج أن الحيوانات البرية ترد بالشكل المناسب على محاولات البشر التعاون، حالها كحال الحيوانات الأليفة، كما يقول البحث.

ويقول الباحثون إن التعاون الوحيد بين البشر، والحيوانات البرية قد وُثق في البرازيل بين الصيادين، والدلافين، حيث يُجري استدعاء الدلافين حتى تدفع مجاميع الأسماك صوب الصيادين.

ويقول التقرير إن الفريق يسعى لمعرفة الكيفية التي تعلم بها صغارها تلك اللغة، بيد أن ذلك في غاية الصعوبة، لأن مرشدات العسل تضع البيض وتترك تربية الفرخ لنوع آخر من الطيور.

ومما يثير الدهشة هو أن الناس في أجزاء مختلفة من أفريقيا يستخدمون أصواتًا مختلفة لاستدعاء مرشدات العسل، ونود أن نعرف هل تستطيع مرشدات العسل التفرقة بين كل منطقة وأخرى أم لا، بحسب (سبوتسوود).

ومن هنا يمكن أن تتغير نظرة الإنسان إلى عالم الحيوان، وأن يفتح له العلم الحديث آفاقاً جديدة فى دراسته، فلا يقف عند حدود دراسة جسدية له تدور حول الوظائف العضوية وما يتصل بها، بل ينبغي أن يتجاوز هذه الدراسة إلى دراسة نفسية وعقلية أيضاً بحيث يكون من موضوع هذه الدراسة لغة الحيوان، وعن طريق التعرف الى هذه اللغة يمكن التعرف على معارف عالم الحيوان، ونظرته الى الكون، وصراعه مع الطبيعة، ووسائله التى بلغها فى التغلب عليها، ولربما يقع للعلم فى هذه الدراسات من أسرار وعجائب مالم يقع له الى اليوم من أسرار وعجائب(6).

ويوم يبلغ الإنسان من العلم ما يستطيع به الالتحام مع عالم الحيوان، والتفاهم معه، يومئذٍ يكون الإنسان بحق هو سيد العالم الأرضي، وخليفة الله فيه، وقد أنبأنا النبي أن هذا اليوم آتٍ لا ريب فيه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: (بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى بِالْحَرَّةِ إِذْ عَرَضَ ذِئْبٌ لِشَاةٍ مِنْ شَائِهِ، فَجَاءَ الرَّاعِي يَسْعَى فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لِرَّاعِي: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟ قَالَ الرَّاعِي: الْعَجَبُ لِلذِّئْبِ – وَالذِّئْبُ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ – يُكَلِّمُنِي بِكَلَامِ الْإِنْسِ، قَالَ الذِّئْبُ لِلرَّاعِي: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ، يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، فَسَاقَ الرَّاعِي شَاءَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَزَوَاهَا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ الذِّئْبُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لِلرَّاعِي: (قُمْ فَأَخْبِرْ)، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ،

وَقَالَ: (صَدَقَ الرَّاعِي، أَلَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلَامُ السِّبَاعِ الْإِنْسَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ وَيُكَلِّمَ الرَّجُلُ نَعْلَهُ، وَعَذَبَةَ سَوْطِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِحَدِيثِ أَهْلِهِ بَعْدَهُ) (7).

هذا: ولقد ورد –كما سبق– فى القرآن الكريم أسماء بعض أنواع الحيوان والطير والحشرات في إشارة الى قدرة الله الخارقة، وحكمته البالغة، وتدبيره العظيم الذى يسع كل شيء فى الوجود برحمته، ولتنبيه الأذهان لتتدبر فى خلق السموات والأرض، فتزداد ايماناً ويقيناً، وتُدرك أن هذا الكون الواسع الذى يعُجُ بالمتضادات من: قوى وضعيف، وصغير وكبير، وآكلٍ ومأكول ومسالمٍ وشرس، انما نظمته يد واحدة، مبسوطة بالعدل، سابغة بالفضل (8).

وكثيرة هى التعاليم والقيم والحقائق التى يعلمنا إياها القرآن الكريم بأسلوبه الإلهي المؤثر المقنع، وهو يتجول معنا فى عالم الحيوان من أصغر مخلوق فيه لا تكاد تراه العيون، حتى أكبرها حجماً، وقد كتب أجدادنا المسلمون الكثير عن هذا العَالم، كالجاحظ، والدميري، والقلقشندي، والنويري، والعمرى، الخ، وقفوا عنده، وأطالوا الوقوف، مستمدين منه القيم والتعاليم، والطبائع والأسرار، ومروحين على أنفسهم بالمتعة والطرافة والجمال (9).

تصنيف الحيوانات على أساس النوع:

يُعرّف النوع بأنه: مجموعة من الأفراد ذات أصول وصفات مشتركة تعيش فى مكان واحدٍ عادة، ومعزولة جنسياً عن الأنواع الأخرى، وتتزاوج فيما بينها لتنجب ذرية لها نفس صفاتها، وقابلة للتزاوج والإنجاب (10).

وتاريخ علم الحيوان يرجع الفضل فى وضع أسس تصنيف المملكة الحيوانية الى العالم السويدي: (لينوس) حيث قسّم المملكة الحيوانية إلى: مراتب وعوائل وأجناس وأنواع، وعليه فإن النوع ضمن هذا السياق هو: أصغر وحدة تصنيفية.

وقد ساهم العرب فى وضع أسس التصنيف البيئي للحيوانات، ومن ذلك ما ذكره اخوان الصفا: (والحيوان أربع أقسام: فمنها سكان الهواء وهى أنواع: الطيور أكثرها، والحشرات جميعها ومنها سكان الماء، وهو كل حيوان يسبح فى الماء كالسمك والضفادع ونحو ذلك، ومنها سكان

البر ،هى: البهائم والأنعام والسباع، ومنها: (سكان التراب والهوام) (11).

كما أن الجاحظ قد صنّف الحيوانات أيضاً إلى أربعة أقسام حيث قال: والحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشى وشيء يطير وشيء يسبح، وشيء ينساح (12).

الهوامش:

(1) مجلة منار الإسلام، العدد 2 السنة 25، ص: 34.

(2) مجلة الوعى الإسلامي، العدد 348، ص :66-67.

(3) السابق.

(4) حياة الحيوان كما صورها القرآن، د/محمد أمين عثمان، مجلة الوعى الإسلامي، العدد 348، ص: 66.

(5) السابق.

(6) حياة الحيوان كما صورها القرآن ص: 66.

(7) سلسلة القصص القرآني: 17 / 85 ، والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه: (418/14) برقم: (6494).

(8) مع عالم الحيوان فى كتاب الله، د/ عماد الدين خليل، مجلة منار الإسلام، العدد 9 السنة 4 أغسطس 7919م، ص: 17.

(9) مع القرآن في عالمه الرحيب: (173) د/ عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط الثالثة 1984م.

(10) مروج الذهب: 2 / 4-5، وانظر السابق.

(11) مجلة المنهل: العدد 524، ص 40.

(12) العلماء يوثقون للمرة الأولى حوارًا بين الطيور والبشر، موقع: ساسة بوست.

المجلة الدولية للبحوث و الدراسات

(IJS)

International Journal of Research and Studies

تصدرها أكاديمية
رواد التميز للتدريب
والاستشارات والتنمية البشرية

(IJS)